الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها، وقد لا تتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب كما يراه التوفيقيون

د. شاكر النابلسي
كاتب اردني، امريكا

يتوقف مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب على مقدرة المؤسسة الدينية في العالم الإسلامي على اجترام الحلول الجديدة لمشكلات العصر الحديث وعلى نبذهم للحقد والكراهية. كما يتوقف هذا المستقبل على اقتراب الغرب من روح الإسلام وجوهره بعيداً عن تنطّع الجماعات الإسلامية والأحزاب السياسية الإسلامية.

اتجاهات الرأي في علاقة الإسلام بالغرب

نستطيع أن نقسّم اتجاهات الرأي في العالم العربي بخصوص علاقة الإسلام بالغرب إلى أقسام ثلاثة:

- قسم يرى ترك الموروث واتباع كل ما في الغرب من قيم ومنجزات، وهؤلاء هم الأقلية القليلة في العالم العربي.
- قسم يرى ترك الغرب وقيمه واتباع قيم الموروث، وهؤلاء هم الأقلية الكثيرة في العالم العربي.
- قسم يوفِّق بين هذا وذاك، ويأخذ أصلح ما في الموروث، وأنفع ما في الغرب، وهؤلاء هم الأغلبية في العالم العربي وسواد الأمة الذين يطلق عليهم "التوفيقيون" والذين يُناط مستقبل الإسلام مع الغرب بهم وبأفكارهم وفي جهودهم في التوفيق بين روحانية الإسلام وقيمه الأخلاقية وبين مادية الغرب وقيمه الواقعية. باعتبار أن الإسلام توفيقي بطبعه وأمته أمة وسط كما جاء في الأثر. وأن التوفيقية مرتبطة بطبيعة الحضارة العربية الإسلامية ونفّاذة في صميم التكوينات التاريخية المجتمعية الحضارية. وهؤلاء التوفيقيون هم من قال عنهم أحمد الزيات من أنهم "حلقة علمية مفقودة وركن من أقوى الأركان التي ينبغي أن نبني عليها نهضتنا الحديثة، ولا يتسنى أن ننهض إلا بهم". وعلى هؤلاء عبء كبير جداً في مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب. والمهمة التي أوكلت لهم ليست مهمة سهلة. وهي تستدعي القيام بالاصلاح الديني العسير المتعثر والذي بدأ منذ مئة عام ولكننا "لم نحصل على نتائجه لأنه كان نسبياً ولم يكن جذرياً. والآن يمكن بداية الاصلاح الديني جذرياً كشرط سابق على تدعيم الفكر الحديث برفع التيار العقلي إلى أقصى حدوده حتى يقضي العقل على ما تبقى من الخرافة". وهذه المهمة هي بمثابة البحث عن "الغدة الصنوبرية" التي تصل بين الأمرين. وليست مهمة جديدة. فقد بدأت هذه المهمة منذ القرن التاسع عشر واستمرت إلى نهاية القرن العشرين، وربما ستظل مستمرة حتى نهاية القرن الحادي والعشرين، وقبل أن يكون هؤلاء التوفيقيون قد استطاعوا أن يضعوا رأسي الإسلام والغرب على مخدة واحدة وبالحلال، والجمع بين الحُسنيين وبالحُسنى.

ففي القرن التاسع عشر كان مثلث (الأفغاني- عبده- الكواكبي) هو أبرز من حمل لواء التوفيقية بين روح الشرق ومادية الغرب. وهنا يجب أن نعيد النظر في مقولة روح الشرق ومادية الغرب. فالشرق ليس روحاً فقط ولكنه مادة أيضاً. والإسلام ليس روحاً بقدر ما هو مادة أيضاً بدليل أنه دين ودولة وأن النبي عليه السلام، لم يرحل إلا بعد أن وضع أسس الدولة الإسلامية في المدينة. ولعل الإمبراطورية الضخمة التي أقامها الإسلام منذ العهد الأموي إلى نهاية العهد العباسي وهي إمبراطورية مادية بالدرجة الأولى أبرز دليل على مادية الإسلام. كما أن الثراء الفاحش الذي أصاب الأمة العربية منذ بدء عصر الفتوحات في عهد عمر بن الخطاب وإلى نهاية العصر العباسي والتي أوقفت عصر التجارة العربية، وتحول العرب معها من تجار بارزين إلى فاتحين بارزين، واستبدلوا الميزان بالسيف، أكبر دليل على أن الإسلام كان في جانب كبير منه مادياً.

وأما الغرب، فإنه ليس مادياً صرفاً. وفي المسيحية التي ما زالت موجودة حتى الآن في حياة ووعي الغربي جانب كبير جداً من الروحانية. وما انتشار الكنائس في الغرب وفي أمريكا على وجه الخصوص في كل حي، وتدفق أموال المتبرعين على الكنائس حتى بلغت هذه التبرعات أكثر منها للمؤسسات العلمية في أمريكا بالذات لدليل كبير على روحانية الغرب أيضاً. وما هذا التدفق على الكنائس أيام الآحاد على النحو الذي يتم إلا دليل على أن الروحانية ما زالت في الغرب. وما القدّاس الذي يقيّمه بابا الفاتيكان في أنحاء مختلفة من أوروبا وأمريكا والذي يضم مئات الآلاف من المصلين إلا دليل آخر على أن الروحانية ما زالت باقية في الغرب. كما أوضح استفتاء أجرته محطة "فوكس نيوز" التلفزيونية الأمريكية في ٢٠٠١/١/١١ أن سبعين بالمائة من الشعب الأمريكي يرغب ويؤيد أن يكون للدين تأثير واضح في الحياة الأمريكية.

ولو أن الشرق امتلك عقل الغرب وماله، لأصبح أكثر مادية من الغرب نفسه. كما كان حاله في العصرين الأموي والعباسي. وأن المظهر الروحاني الذي يتصف به الشرق الآن ناتج عن قصور في عقله وعلمه وماله، وليس ناتجاً عن طبيعة في تكوينه وعقيدته. ففي كل حضارة وفي كل عقيدة، هناك جانب روحاني يطغى إذا غاب العقل والعلم والمال، ويتقلّص إذا حضرت وسادت هذه العوامل.

وما إدعاء سواد المفكرين العرب من أن الشرق روحاني والغرب مادي وسيادة هذه المقولة وانتشارها طوال حقب طويلة إلا من باب تفاخر الشرقيين وتعاليهم المستمر ك "خير أمة أُخرجت للناس"، على اعتبار أن الروحانية أرفع مقاماً من المادية وأسمى درجة منها في الوعي الشرقي.

دور التوفيقيين في الإئتلاف بين الغرب والإسلام

لقد بذل التوفيقيون جهوداً كبيراً في تقريب وجهات النظر بين الغرب والإسلام. ومرّت التوفيقية في القرنين التاسع عشر والعشرين بمراحل ثلاث:

- الأولى: توفيقية النهضة، والتي ظهرت في القرن التاسع عشر. وكان أبرز روادها: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، ورفاعة الطهطاوي، وعلي مبارك، وخير الدين التونسي، وغيرهم.
- الثانية: التوفيقية التنويرية، والتي ظهرت بين الحربين العالميتين. وكان أبرز روادها: محمد حسين هيكل، وعباس محمود العقاد، وتوفيق الحكيم، وغيرهم.
- الثالثة: التوفيقية الحديثة، والتي ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين. وكان أبرز روادها: محمد عابد الجابري، ومحمد الأنصاري، و فهمي جدعان، وحسن حنفي، ورضوان السيد، ومحمد مزالي، وغيرهم.

ونود أن نشير هنا، إلى أن محمد مزالي، رئيس وزراء تونس السابق، كان من المفكرين التونسيين التوفيقيين المعاصرين. ولعله هو الوحيد في الفكر العربي المعاصر الذي حمل القلم والسيف معاً. وكان من السياسيين المفكرين المميزين في العالم العربي. وقد كتب عدة كتب في الفكر السياسي منها: الديمقراطية، مواقف، دراسات، من وحي الفكر، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، وجهات نظر، وغيرها. والمزالي هو رائد المدرسة السياسية التوفيقية الرومانسية في العالم العربي، وفي الفكر العربي المعاصر. حيث يقول: "إنني أومن بالرومانسية المطلقة" وهو الذي بشّر بعودة الرومانسية السياسية المشرقة لسنة ٢٠٠٠ بعد فجيعة الرومانسية في القرن التاسع عشر، وقال عن الرومانسية "إنها سفينة حلم المستقبل". ومن أهم ملامح هذا الاتجاه:

١- إن التقدم العلمي والسيطرة التكنولوجية والتفوق الصناعي لا تكفي وحدها لضمان سعادة الإنسان.
٢- إن الإسلام دين العقل والعقيدة معاً. وقد نهى عن البدع ومجّد العقل، وحرّض على الاجتهاد، وهو غير مسؤول عن الدجل والخرافة السائرة.
٣- ليس بوسع النجاح الاقتصادي أن يغطي ظمأ الأرواح إلى المثل الأعلى.
٤- إن الغد لم يعد ممكناً بانتظاره بل بصنعه.
٥- إن السلطة الجديدة تصل الحلم بالحياة وتؤمن بعظمة الأفراد، وهي ليست بالدين برغم ما تكتسبه من مظاهر دينية من جرّاء إجلالها للحياة وظمئها للخلود.

(أنظر: محمد مزالي، في دروب الفكر، ص١٩٥-، ٢٠٠)

الفروق بين الحركات التوفيقية

وهناك دوافع ثقافية وسياسية مختلفة لظهور هذه الحركات التوفيقية الثلاث، كما أن هناك فروقات فكرية بين طروحات هذه الحركات التوفيقية الثلاث، نستعرض أهمها من خلال التالي:

توفيقية النهضة:

كان معظم روادها ممن لم يدرسوا في الغرب، واقتصرت ثقافتهم على التراث العربي فقط، من دون معرفة التراث الغربي. وخلطت هذه التوفيقية بين القيم الثقافية والقيم الأخلاقية وهاجمت الثقافة الغربية وناصبتها العداء من خلال أخلاق الإسلام ومثالياته كدين. لذ ا، فقد كانت هذه التوفيقية موقفاً أيديولوجياً إسلامياً صرفاً. وكانت ردَّ فِعل فكري وسياسي على الاتجاه العلْماني الذي قاده المفكرون العرب المسيحيون، ومناداتهم بفصل الدين عن الدولة. وكان الدافع السياسي لهذه التوفيقية ليس التخلّص من الحكم العثماني ولكن إصلاح هذا الحكم، ووصل الدين بالدولة، والإبقاء على الخلافة الإسلامية متمثلة بالعثمانيين. وقد اشترك فيها رجال الدين وكانوا هم الأغلبية فيها، وذلك لإثبات أن الإسلام دين ودولة. ومن المعروف أن هذه التوفيقية نادت بالإصلاح الديني ولكنها لم تفلح في تحقيقه، لأن هذا الإصلاح كان نسبياً ولم يكن جذرياً. وكانت هذه التوفيقية معجبة بقيم الغرب الثقافية، كارهة لقيمه الأخلاقية. وكانت تنادي بأخذ ما نحب وترك ما نكره. ولم تكن في هذه التوفيقية تناقضات كثيرة في المجتمع العربي بين ما يستهلكه هذا المجتمع وبين ما يفكر فيه. وهو المجتمع البكر الذي كان لا يزال في مرحلة التفتح الأولي نحو الغرب وسلعه وأفكاره الجديدة. وأخيراً، لم تواجه هذه التوفيقية المبكرة تناقضاً في الموقف الغربي بين ما يؤمن به الغرب من قيم الحريات وبين ما يمارسه في الحياة السياسية والاقتصادية.

التوفيقية التنويرية:

كان معظم روادها ممن درسوا في الغرب، وخاصة فرنسا، وجمعوا بين معرفة التراث العربي والثقافة الغربية. وحاولت هذه التوفيقية أن تُفرّق بين القيم الأخلاقية والقيم الثقافية، ولكن الخلط ظل قائماً إلى حد ما بين القيم الأخلاقية الإسلامية والقيم الثقافية الأوربية. وكانت هذه التوفيقية موقفاً أيديولوجياً مصرياً فرعونياً غربياً مختلطاً. كما كانت هذه التوفيقية ردَّ فعل ثقافي وسياسي على تصلّب الاتجاه الديني السلفي والمؤسسات الدينية السلفية التي كانت تسيطر على الثقافة. وكان الدافع السياسي لهذه التوفيقية التخلّص من الاستعماريين التركي والإنجليزي، وإعلان الدولة المدنية العلْمانية ومهاجمة الخلافة الإسلامية متمثلة بالعثمانيين. واشترك بعض رجال الدين فيها لإثبات أن لا دولة في الإسلام، وأن الإسلام دين لا دولة. ونادت هذه التوفيقية بالتنوير، ولكنها لم تفلح في تحقيقه، لأن هذا التنوير كان قاصراً على فئة المثقفين فقط. كما كانت معجبة بقيم الغرب الثقافية والأخلاقية معاً، وكانت تنادي بتمثل الغرب فينا كلية، كما جاء على لسان طه حسين. وبدأ التناقض بين قيم المجتمع العربي الاستهلاكية وبين قيمه الفكرية يظهر شيئاً فشيئاً، في ظل غزو المنتجات والأفكار للسوق العربية، وفي ظل افتقار السوق العربية للسلع والأفكار الجديدة. وهكذا بدأت هذه التوفيقية تشعر بالتناقض بين ما ينادي به الغرب من قيم الحريات وبين ما يطبق من ظلم وعدوان على الشعوب المستعمِرة.

التوفيقية الحديثة:

كان معظم روادها ممن درسوا في الغرب. وقد بذلت هذه التوفيقية جهوداً أكبر من خلال التقدم الثقافي العربي للتفريق بين القيم الأخلاقية والثقافية. ونادت بأخذ العقل من الغرب والروح من الشرق. وكانت هذه التوفيقية موقفاً أيديولوجياً عربياً قومياً دينياً غربياً مختلطاً. كما كانت هذه التوفيقية ردَّ فعل على الاتجاه العلْماني والليبرالي الذي ازدهر مرة أخرى بعد الستينيات من النصف الثاني للقرن العشرين. وكان الدافع السياسي لهذه التوفيقية الحيلولة من دون عودة الاستعمار الذي بدأ بالرحيل عن العالم العربي في الخمسينيات والستينات وتمت تصفيته في أوائل السبعينيات. واشترك فيها بعض المفكرين المتدينين، لإثبات إن الإسلام دين ودولة. ونادت بالحداثة، ولكنها لم تفلح في تحقيقها، لأن هذه الحداثة كانت قاصرة على الأدب والفكر فقط. وكانت معُجبةً بكل ما في الغرب من قيم، ولكنها كانت تخفي هذا الإعجاب نتيجة للصدام السياسي مع الغرب. وظهر التناقض جلياً واضحا أكثر من أي فترة أخرى بين ما يستهلكه العرب وبين ما يفكرون به. فهم غربيون خُلّص في الاستهلاك، سلفيون خُلّص في التفكير. وكان هذا من أكبر مشاكل النهضة. واشتد شعور هذه التوفيقية بالتناقض الحاد بين قيم الغرب وبين تطبيقاته لهذه القيم. وكانت القضايا العربية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية هي المحك.

عوامل ساعدت على تقدم التوفيقيين

وقد ساعد على تقدم التوفيقيين في مسعاهم الحثيث في الماضي والحاضر عوامل عدة منها:

١- اهتزاز صورة أوروبا في أذهان المعجبين بها في النصف الأول من القرن العشرين نتيجة للحربين العالميتين اللتين أبانتا الوحشية الغربية الكاسرة.
٢- اهتزاز صورة أوروبا في أذهان النخبة العربية والجماهير العربية نتيجة لعدم الوفاء بعهودها تجاه العالم العربي وتقسيم العالم العربي لقمة سائغة في أفواه الغرب، دون الالتفات إلى وجوب منح الحريات والاستقلال لهذه الشعوب.
٣- فشل الدعوات القومية والليبرالية في النصف الثاني من القرن العشرين في إقامة الدولة القومية العلْمانية، والتي كانت تنادي بقطع الصلة مع التراث وبناء الأمة على أسس من الحضارة الغربية.
٤- فشل الإسلاميين الخُلّص طوال القرن العشرين وبعد التخلص من الاستعمار العثماني والاستعمار الغربي في إقامة الدولة الإسلامية ذات القطيعة الكاملة مع الغرب.
٥- قيام الجماعات الإسلامية التي اتخذت أقصى اليمين الديني المتشدد في الستينيات من القرن العشرين وحتى نهاية القرن، ومطالباتها الدموية الصارمة بإقامة الدولة الإسلامية على غرار دولة الراشدين في المدينة، مما ساعد على تقوية الموقف التوفيقي للحد من نشاط هذه الجماعات ووقف تطرفها.
٦- عودة بعض الكتاب-المصريين على وجه الخصوص- إلى حظيرة الوسطية والتوفيقية (أطلق بعض الباحثين على هذه العودة "الردة" وعلى العائدين "المرتدين". في حين اعتبرها الآخرون تراجعا، واعتبرها خالد محمد خالد مراجعة وليس تراجعاً. أنظر: فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، ص,٣٢٣ وأنظر: شاكر النابلسي، ثورة التراث.. دراسة في فكر خالد محمد خالد، ص٢٩٥-٣١٢) بعد أن أعلنوا تطرفهم تجاه الإسلام وتجاه الدولة الدينية، ومراجعاتهم لأفكارهم أو التخلي عنها في بعض الأحيان. ومن هؤلاء طه حسين، إسماعيل مظهر، منصور فهمي، محمد حسين هيكل، خالد محمد خالد، محمد عمارة، مصطفى محمود وغيرهم. (يقال ان علي عبد الرازق قد بدأ في الستينيات يراجع أفكاره بشأن الدولة الإسلامية التي أنكرها في كتابه "الإسلام وأصول الحكم" وأن ابنه محمد قد أبلغ محمد عمارة بحقيقة هذه المراجعة إلا أن الموت أدرك علي عبد الرازق قبل أن يكتب مراجعته وينشرها كما فعل خالد محمد خالد في كتابه "الدولة في الإسلام" في عام ,١٩٨١ أنظر: محمد عمارة، العلْمانية ونهضتنا الحديثة، ص, ١٦٤)
٧- ظهور مجموعة كبيرة من المفكرين التوفيقيين في العالم العربي في النصف الثاني من القرن العشرين كان لهم صوتهم العالم المؤثر في الثقافة العربية المعاصرة. وهؤلاء "عرفوا الشرق والغرب على السواء، وخبروا مدنية العرب ومدنية الغرب بلا رياء ولا ضعف ولا تخاذل" كما قال فهمي جدعان (أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، ص,٣٢٦) وعلى رأس هؤلاء زكي نجيب محمود، وعباس العقاد، وتوفيق الحكيم. ومنهم إسعاف النشاشيبي، ومحمد الجابري، ومحمد عمارة، ومحمد الأنصاري، ورضوان السيد، وفهمي جدعان وغيرهم. وقد ساهمت كتابات هؤلاء الكتاب في توضيح معنى التوفيقية ودورها في إنهاء الصراع المحتد بين الشرق والغرب، وكيفية عمل آلياتها، وما الهدف منها. (أنظر في هذا الشأن في كتب كثيرة لهؤلاء منها على سبيل المثال: تحولات في الفكر والسياسة في الشرق العربي، للأنصاري، العرب والتحدي لعمارة، تجديد الفكر العربي لمحمود، والخطاب العربي المعاصر للجابري).

(وللحديث صلة).

في القرن التاسع عشر كان مثلث (الأفغاني- عبده- الكواكبي) هو أبرز من حمل لواء التوفيقية بين روح الشرق ومادية الغرب. وهنا يجب أن نعيد النظر في مقولة روح الشرق ومادية الغرب. وهنا يجب أن نعيد النظر في مقولة روح الشرق ومادية الغرب. فالشرق ليس روحاً فقط ولكنه مادة أيضاً. والإسلام ليس روحاً بقدر ما هو مادة أيضاً بدليل أنه دين ودولة وأن النبي عليه السلام ، لم يرحل إلا بعد أن وضع أسس الدولة الإسلامية في المدينة.

عبد الرحمن الكواكبي

الدكتور علي الوردي

د. عبد الجبار منديل
اكاديمي عراقي- كوبنهاغن

لا اتذكر متى على وجه التحقيق سمعت أول مرة باسم الدكتور علي الوردي او قرأته. ربما كان ذلك بين سنتي ١٩٥٥-١٩٥٦ وكنت في حينه طالبا في متوسطة الديوانية يتملكني شغف جنوني بالقراءة والكتب. وكانت المعرفة في تلك السنين من الامور الثمينة التي يصعب الحصول عليها وليس كما هو الحال في الوقت الحاضر حيث المعرفة مبذولة و منتشرة وكان من يعثر على كتاب كمن عثر على كنز.

وكان اسم الوردي قد بدأ يتردد على الالسنة وعلى صفحات الجرائد بأعتباره كاتبا مثيرا للجدل وانه قد صدر له كتاب بعنوان (وعاظ السلاطين) اثار صخبا واسعا على مستوى المجتمع العراقي.

وكما هي العادة دائما فأن هنالك فئة من البشر الذين يخطفون العناوين ورؤوس الاقلام خطفا من دون ان يعرفوا المحتوى الحقيقي للكتب لذلك كان الحديث عن الكتاب كثيرا ومتناقضا. وقد كان من الصعب ان اعثر على الكتاب في مدينة ريفية صغيرة مثل الديوانية في ذلك الوقت فالمكتبة العامة في المدينة لم تكن تشتري مثل هذه الكتب ومكتبة المدرسة هي الاخرى ابعد ماتكون عن ذلك وخاصة لمؤلف مشاكس ولكتاب يطرح اراء خارجة عن المألوف والمتعارف عليه في حينه كما ان ميزانيتي المتواضعة لم تكن تسمح لي بشرائه.

لااتذكر اي صدفة سعيدة جعلتني اعثر على الكتاب و استعيره ولكن الذي اتذكره جيدا ان آراءه العلمية الجريئة احدثت صدمة مذهلة وزلزالا فكريا بالنسبة لفتى صغير مثلي. والغريب انني فهمت مضمون الكتاب بدون صعوبة تذكر فاسلوب الكتاب ليس مما تعود النقاد ان يصفوا به اسلوب الجاحظ او ابن المقفع او طه حسين بانه السهل المتمنع ولكنه كان الاسلوب السهل غير المتمنع ولم يكن يهتم بالسبك اللغوي او جمال الديباجة فلغته كانت اقرب ماتكون الى اللغة الدارجة فهي كانت خالية من الزخرف اللفظي او عذوبة الصياغة فهو لايهتم بذلك وقد عبر عن هذا في كتابه الذي صدر بعدئذ بعنوان (اسطورة الادب الرفيع).

يبدأ الكاتب مقدمته الصادمة على الشكل التالي (اقدم بين يدي القاري العربي بحثا صريحا لا نفاق فيه حول طبيعة الانسان وهو بحث كنت قد اعددت بعض فصوله منذ مدة غير قصيرة لإلقائه من دار الاذاعة العراقية فرفضه جلاوزة الاذاعة) ثم يضيف في هامش (حق على المذيع انذاك ان ينادي " هنا بلد الجلاوزة هنا بغداد") ثم يقول في مكان اخر ناعيا على الوعاظ الذين يتسترون بستار الدين وينصبون انفسهم اوصياء على الناس نفاقهم وتناقض سلوكهم (والغريب ان الواعظين انفسهم لا يتبعون النصائح التي ينادون بها فهم يقولون للناس نظفوا قلوبكم من ادران الحسد والشهوة والانانية بينما نجدهم احيانا من اكثر الناس حسدا و شهوة وانانية).

ويتحدث في مكان آخر عن قصة الشيخ الأزهري المتزمت الذي سافر الى فرنسا عام ١٨٢٦ والذي كتب في مذكراته وهو في غاية الدهشة حينما رأى سفور المرأة الفرنسية وتبرجها واختلاطها بالرجل ذلك انه يعيب هذا ويعتبره من الفواحش والبدع غير انه ينوه بعد ذلك بأستقامتهم وابتعادهم عن الشذوذ قائلا (انهم لايميلون الى اللواط او التعشق بالصبيان) ثم يعلق الدكتور الوردي على كلام الشيخ الازهري وعلى التناقض في كلامه (وقد دلت القرائن على ان المجتمع الذي يشتد فيه حجاب المرأة يكثر في نفس الوقت الانحراف الجنسي من لواط وسحاق وما أشبه).

وبنفس هذا المستوى من الاراء الجريئة استمر الكتاب ليناقش كل المشكلات الاجتماعية في العراق والعالم العربي وهكذا حدث لي نوع من اللخبطة الفكرية او التلبك الذهني الذي قلب افكاري رأسا على عقب.

وبالطبع لم يسكت عنه ادعياء الدين بل كالوا له الصاع صاعين. ونشرت مئات المقالات اضافة الى ١٢ كتابا والتي تتهمه بتشجيع الفسق والفجور والالحاد والشيوعية. ولكنه كعادته دائما لا يرد على مقالات النقاد الا لماما وفي حالات استثنائية جدا.

وتمضي السنون وانا مستمر بمتابعة مؤلفات وكتابات الدكتور الوردي اقراها حيث ما عثرت عليها وابحث عنها في كل مكان يمكن ان تكون فيه. ثم سافرت للخارج للدراسة وعدت واصبح بأمكاني شراء كتبه من دون ان اضطر الى استعارتها من الاخرين.

في سنة ١٩٦٩ صدر الجزء الثالث من كتابه الموسوعي (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق) وفيه يستعرض تاريخ العراق منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين. وفي سرد ومناقشة تلك المرحلة التاريخية المهمة. وقد نجح في تسليط الاضواء على كثير من الجوانب المظلمة و الغامضة في تلك المرحلة. ولكن ما اثار دهشتي واستغرابي هو ما احتواه الملف الخاص بالماسونية والذي وضعه كملحق في نهاية الكتاب. وقد كشف في ذلك الملف ان الكثير من القيادات السياسية و الدينية والعسكرية المرموقة في العالم هي من اعضاء الجمعيات الماسونية ففي هذه الجمعيات مثلا الكثير من ملوك اوروبا مثل بعض ملوك بريطانيا والسويد والدنمارك وروسيا والمانيا وغيرها اضافة الى القادة السياسيين في العالم مثل جورج واشنطن وروسفيلد وترومان ونابليون وكذلك الكتاب والمفكرين مثل فولتير واوسكار وايلد ومارك توين وغيرهم وغيرهم. وكانت الماسونية في تلك السنين مثار خلاف شديد فالبعض يقول ان الماسونية هي حركة غير سياسية تحاول التقريب بين الاديان وخدمة الانسانية من خلال ازالة عوامل الخلاف والشقاق بين الشعوب والبعض يقول انها منظمة رجعية تخدم القوى الاستعمارية او تخدم الصهيونية وغير ذلك من التهم. وقد شجع على ذلك غموض اهداف هذه المنظمة وعدم اعتمادها الشفافية في عملها والميل الى العمل السري ومنعها اعضائها من الافصاح عن نشاطها. ولكن الاغرب من ذلك والاكثر اثارة للدهشة هو ان اغلب رجالات النهضة العربية والاسلامية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين هم من اعضاء هذه الجمعية فكيف يمكن التوفيق بين هذه الامور المتناقضة والمتضادة. فمن اعضائها مثلا الشيخ جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده ومدحت باشا وسعد زغلول وغيرهم كثيرون كما يقال ان الكثير من افراد العوائل الحاكمة في العالم العربي والاسلامي هم اعضاء في هذه الجمعية.

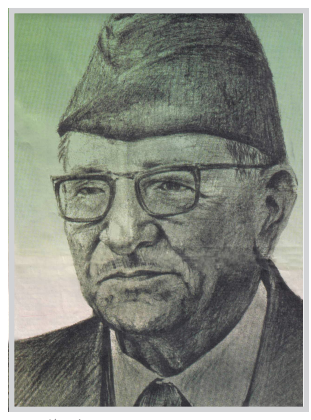

وقد كتبت مقالا في حينه (١٩٦٩) في جريدة النور التي كان يصدرها في بغداد الجناح الكردي الذي يتزعمه الاستاذ جلال طالباني قبل ان تلغيها الحكومة بعد بيان ١١ اذار ١٩٧٠ لتصدر بدلا منها جريدة التاخي التي تعود لجناح الاستاذ البرزاني. كانت جريدة النور جريدة ليبرالية معتدلة تنشر مختلف الآراء ولشتى الاتجاهات. وقد نشرت فيها مقالتي عن الدكتور الوردي. وكنت اتساءل في المقالة بعد مناقشة الجوانب التاريخية والفكرية في الكتاب عن ان المؤلف لم يقل لنا ما هو السر وراء انضمام هذه القيادات النهضوية المتنورة الى هذه الجمعية ذات المرامي الغامضة واتمنى عليه ان يقول رايه في ذلك. ولكن الدكتور الوردي كعادته دائما لم يجب على مقالتي ولم يعقب. وافسر ذلك الان بأنه ربما كان هو الاخر لايعرف سبب ذلك والا لكتبه بجرأته المعهودة.

وفي بداية السبعينيات صدر ذلك الجزء من كتابه والذي يناقش فيه مسألة الشيعة والتشيع وهل ان اصول التشيع عراقية ام ايرانية؟ وكان رأيه جازما بأن التشيع هو تيار سياسي وديني عراقي انتقل الى ايران كما كان البعض يؤكد. وقد ظهرت بعض المقالات التي تتهمه بالطائفية وكان ذلك اتهاما خطيرا في ذلك الوقت لا سيما وانه من عائلة شيعية في الكاظمية. وقد طاله اثر ذلك بعض المضايقات كما علمت فيما بعد.

وفي بداية الثمانينيات وكنت استاذا في الجامعة المستنصرية في بغداد التقيت الدكتور الوردي في احد المنتديات ووجدت فيه انسانا طيبا جم التواضع. وحاولت ان اثير معه بعض الاسئلة التي عنت لي من قراءة كتبه طيلة ٣٠ عاما. ولكنه كان يبتعد عن الموضوع وعن النقاش ويحاول مداراة الموضوع بنكتة او كلمة اعتذار خجولة. ولاشك ان الجو الارهابي المخيف الذي كان يخيم على عالم الفكر والسياسة وعلى الجامعات بشكل خاص لجم لسانه.

د.علي الوردي

في بداية السبعينيات صدر ذلك الجزء من كتابه والذي يناقش فيه مسألة الشيعة والتشيع وهل ان اصول التشيع عراقية ام ايرانية ؟ وكان رأيه جازما بأن التشيع هو تيار سياسي وديني عراقي انتقل الى ايران كما كان البعض يؤكد. وقد ظهرت بعض المقالات التي تتهمه بالطائفية وكان ذلك اتهاما خطيرا في ذلك الوقت لا سيما وانه من عائلة شيعية في الكاظمية. وقد طاله اثر ذلك بعض المضايقات كما علمت فيما بعد.